هو العليم

مطابقة القصاص في التوراة و الإنجيل لحكم القرآن‏

بحث منتخب من «نور ملكوت القرآن»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ‏

إنّ حكم القصاص و الثناء على العفو الواردينِ في القرآن الكريم، هما بعينهما حكم القصاص و العفو اللذان نزلا في شريعة موسى في التوراة، و في شريعة عيسى في الإنجيل على نبيّنا و آله و عليهما الصلاة و السلام، ثمّ احكما و اقِرَّا في القرآن الكريم.

أمّا في التوراة، فيقول الله سبحانه:

{إنَّآ أنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الذين أسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الأحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَ مَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أنزَلَ اللهُ فَاولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ، وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الأنفِ بِالأنفِ وَ الاذُنَ بِالاذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَ مَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أنزَلَ‏ اللهُ فَاولَئِكَ هُمُ الظَّالمونَ}.[[1]](#footnote-1)

ما نراه في الآيتين هو: أنّ حكم القصاص حقّ للمجنى عليه، و العفو -الذي هو أمر مقبول- قد وُضِعَ في اختياره. و قد ورد هذا المطلب بعينه في التوراة المتداولة حاليّاً، حيث جاء في الإصحاح الحادي و العشرين من سفر الخروج من التوراة أنّه:

(۱٢) مَن ضرب إنساناً فمات يُقتل قتلًا.

(۱٣) و لكنّ الذي لم يتعمّد، بل أوقع الله في يده، فأنا أجعل له مكاناً يهرب إليه.

(٢٣) و إن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس، و عيناً بعين، و سنّاً بسنّ، و يداً بيد، و رجلاً برجل، وكيّاً بكيّ، و جرحاً بجرح، و رضّاً برضّ.

و جاء في الإصحاح الرابع و العشرين من سفر اللاويين أنّه:

وإذا أماتَ أحدٌ إنساناً فإنّه يُقتل، و من أمات بهيمةً فإنّه يعوّض عنها نفساً بنفس، و إذا أحدث إنسانٌ في قرينه عيباً، فكما فعل كذلك يُفعل به، كسرٌ بكسر، و عينٌ بعين، و سنٌّ بسنّ، كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يُحدث فيه.[[2]](#footnote-2)

و أمّا في الإنجيل فلأنّ الله عزّ وجلّ بعد الآيات السابقة يقول:

{وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوَرَاةِ وَ ءَاتَيْنَاهُ الإنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ و مصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ، وَ لْيَحْكُمْ أهْلُ الإنجِيلِ بِمَآ أنزَلَ اللهُ فِيهِ وَ مَن‏ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزَلَ اللهُ فَاولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.[[3]](#footnote-3)

و نرى في هذه الآية أنّ الله سبحانه جعل عيسى مصدّقاً للتوراة وجعل كتابه الإنجيل أيضاً مصدّقاً لها، ويلاحظ أنّ جملة {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَّ التَّوْرَاةِ} -التي تكرّرت مرّتين- لم تكن تأكيداً، بل أفادت تصديق الإنجيل للتوراة إضافة إلى تصديق المسيح لها.

لذا، فكتاب الإنجيل تابع لشريعة كتاب التوراة، و لم يأت حكم في التوراة إلّا و قد أمضاه الإنجيل و دعا الناس إليه، عدا بعض محرّمات التوراة التي أحلّها المسيح، كما نطق الله سبحانه بلسانه: {وَ لأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}.[[4]](#footnote-4)

و بناءً هذا، فحكم القصاص و العفو من وجهة نظر السيّد المسيح و تعاليم الإنجيل هو نفسه عند موسى و كتاب شريعته: التوراة.

و أمّا في القرآن الكريم، فلأنّ الله سبحانه يقول بعد هذه الآية:

{وَ أنزَلْنَآ إليك الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِمَآ أنزَلَ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا وَ لَوْ شَآءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ امَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ في مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، وَ أنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أنزَلَ اللهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أهْوَآءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أنزَلَ اللهُ إليك فَإن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ‏ لَفَاسِقُونَ}.[[5]](#footnote-5)

و ما بحثناه هنا في حكم القصاص و العفو، طبقاً لدلالة هذه الآيات المباركة، فإنّ شرائع النبيّ محمّد و المسيح و موسى عليهم الصلاة و السلام تتطابق و تتّفق بشأنه، و أنّ ما يُشاهد في الإنجيل المتداول حاليّاً أن «إذا صفعك أحد على خدّك الأيمن فأدر له الأيسر، و إذا أرادوا انتزاع عباءتك فهَبْ لهم معها ثوبك»!

إمّا أن تكون عبارات مُختلقة نُسبت للمسيح عليه السلام، أو أنّه عليه السلام أراد أن يمتدح العفو و المسامحة و يثني عليهما، و أن يؤكّد على إعمال صفة الإغضاء وكرم الأخلاق، و أن يُثير في الناس بشكلٍ مبالغٍ فيه مشاعر العفو و المسامحة بعد فرض قانون القصاص و صيرورته بين الناس في حكم المسلّم، و إلّا فإنّ إجبار الناس على هذا الأسلوب من العفو سيؤدّي لا إلى تعطيل قانون القصاص و عدم الاهتمام بأمر العفو فحسب، بل ستصل رغبة المسيحيّين في الانتقام و إذلال الآخرين بقسوة و عدوانيّتهم و تعطّشهم لسفك الدماء إلى الحدّ الذي برزت نماذجه في الحروب الصليبيّة و في الحربين العالميّتينِ، حيث سوّدت فظائعهم و قسوتهم و عنفهم صفحات تأريخ المسيحيّة.

انتقاد وِل ديورانت لقانون الإنجيل لعدم فرض القصاص‏

يقول وِل ديورانت: لم يدعُ الإسلام إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[[6]](#footnote-6)

{وَ لِمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَاولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبِيلٍ}[[7]](#footnote-7) تلك أخلاق تليق بالرجال، شبيهة بما جاء في العهد القديم، فهي تؤكّد فضائل الرجولة كما تؤكّد المسيحيّة فضائل الأنوثة، و ليس في التأريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، و لم يُفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام.

و يُستَشَمّ من تعبير ديورانت بأنوثة أخلاقيّة تعاليم الإنجيل رائحة انتقاده لها، و عزى ذلك إلى الضعف و القوى الانفعاليّة، على العكس من الإسلام الذي تصدر قوانينه ناشئة من القوّة و الموقف الراسخ، و قوى الفعل.

إنّ عدم تطبيق الحدود و فقدان قانون القصاص عند أتباع الكنيسة في شريعة الإنجيل الفعليّة قد أدّى إلى شيوع الفحشاء و المنكرات و العلاقات المنحرفة بينهم أكثر من شيوعها بين اليهود والأمم الأخرى؛ و لقد كشف شاعر ظريف عن معنى عميق في هذا الشأن و في أمثاله بأبياتٍ أنشدها بأسلوب الملحة و الطريفة، قال:

أجل، فتماسك المجتمع الإنسانيّ، و قوام الحضارة البشريّة، و الوصول إلى معارج الحياة إنّما هو في فرض حكم القصاص الذي يردع الناس خوفاً و حذراً عن ارتكاب الجريمة، ممّا يؤدّي إلى امتناع تحقّق هذا الحكم عمليّاً في الخارج، أمّا إذا ما ارتُكبت جريمة ما، و وجد لهذا الحكم مصداق يجعله يتحقّق فعلاً، فإنّ حكم القصاص سيمنح- على أيّة حال- المجتمع حياةً و قدرة و يهبه عزّة و استقلالاً سهل المنال.[[8]](#footnote-8)

[ملاحظة: إن هذا المقال هو عبارة عن بحث منتخب من كتاب [(نور ملكوت القرآن)](https://madrasatalwahy.org/Document/Book/Details/10036/%D9%86%D9%88%D8%B1-%D9%85%D9%84%D9%83%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%AC1?page=1) لمؤلّفه سماحة المرحوم العلامة آية الله الحاج السيد محمد حسين الحسيني الطهراني رضوان الله عليه فننصح من أراد الازدياد بقراءة الكتاب المذكور]

1. الآيتان ٤٤ و ٤٥، من السورة ٥: المائدة. [↑](#footnote-ref-1)
2. طبقاً لنقل العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في «الميزان» ج ٥، ص ٣٩۱ و ٣٩٢ عن التوراة باللغة العربيّة المطبوعة في كمروج سنة ۱٩٣٥ م. [↑](#footnote-ref-2)
3. الآيتان ٤٦ و ٤۷، من السورة ٥: المائدة. [↑](#footnote-ref-3)
4. الآية ٥۰: من السورة ٣ آل عمران. وَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ لُاحِلَّ لَكُم بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُم بِايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَ أطِيعُونَ. [↑](#footnote-ref-4)
5. الآيتان ٤۸ و ٤٩، من السورة ٥: المائدة. [↑](#footnote-ref-5)
6. ذيل الآية ۱٩٤، من السورة ٢: البقرة. [↑](#footnote-ref-6)
7. الآيتان ٤۰ و ٤۱، من السورة ٤٢: الشوري. [↑](#footnote-ref-7)
8. يقول: «و إذا ما صفعك علي الخدّ الأيمن فأدر الأيسر، أو الأيسر فأدر الأيمن. انهض إذ ذاك بدرٌ بشعرٍ كالعنبر، و افترّ عن شفاهٍ كالعقيق الأحمر. و قال: أمختصٌّ حُكمكم بصفع الخدود؟ أم يجري كذاك علي تقبيلها؟». [↑](#footnote-ref-8)